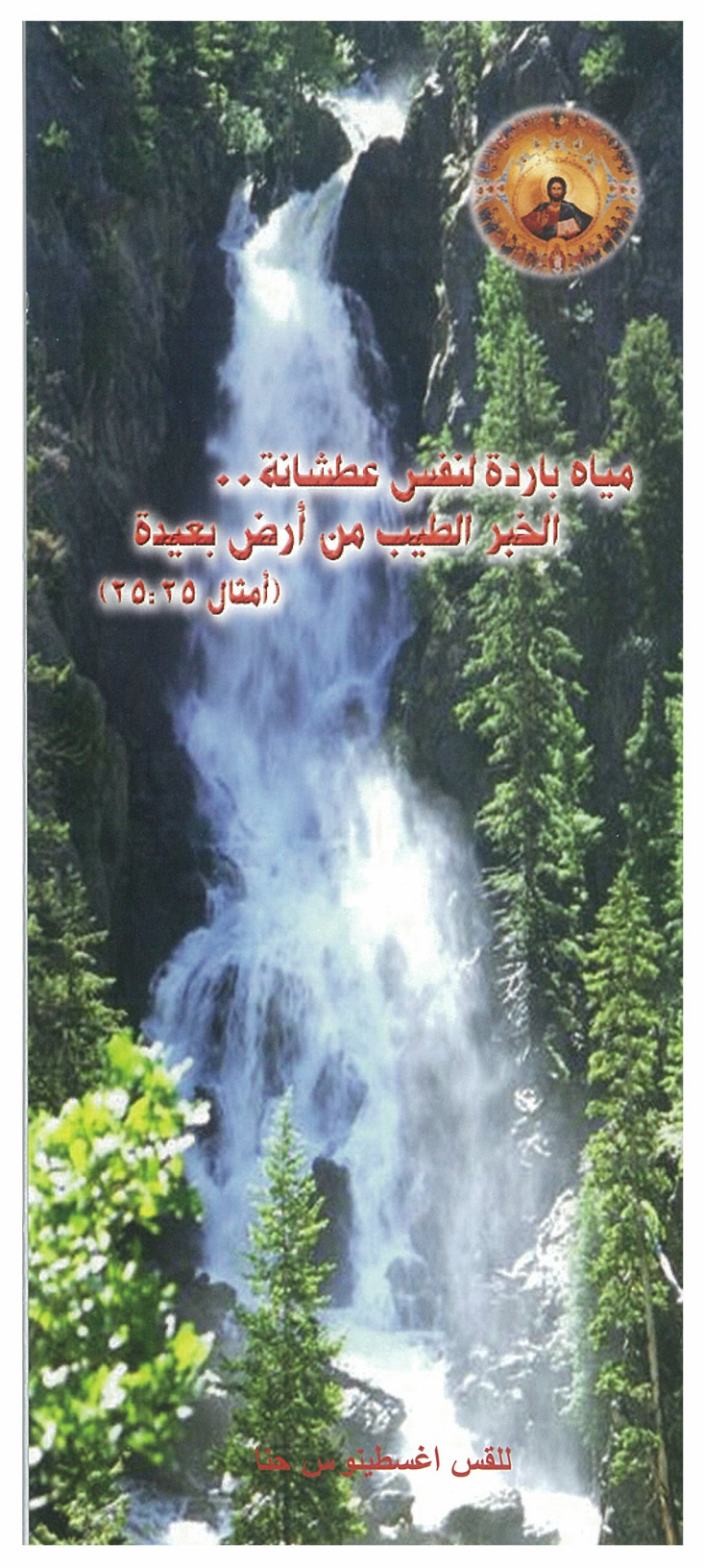

مياه باردة لنفس عطشانة..
الخبر الطيب من أرض بعيدة
(أمثال ٢٥:٢٥)

للقس اغسطينوس حنا

أجاد الحكيم سليمان في وصفه، لتأثير الأخبار السارة عموما علي الإنسان، وخاصة إذا كانت آتية من أرض بعيدة، أو كانت غير متوقعة، فقال عنها في هذا المثل، أنها كالمياه الباردة للنفس العطشانة. وفي مثل آخر مماثل، صوَّر ذلك بتعبير مشابه، أن "الخبر الطيب يسمن العظام" (أم ١٥:٣٠).

والحق أنه ليس أفضل للنفس العطشانة من المياه الباردة، وليس سواها يقدر أن يحيي ويروي وينعش الإنسان. أن قطرات منها أغلي من كنوز الدنيا بالنسبة للعطاش والتائهين في الصحاري، أو وسط مياه البحار المالحة التي تزيد العطش.

وأعتقد أن ما دار في فكر سليمان، حين كتب عن الخبر الطيب في هذا المثل، أنه كان يقصد بالخبر الطيب، نجاح ابن أو زواج بنت أو شفاء أخ أو نجاة أخت أو كسب حرب أو ما إلي ذلك...

ولكننا في ضوء العهد الجديد، نستطيع أن نجد أبعاداً أعظم في هذا المثل، فنري أخباراً أمجد من أرض أبعد كمياه أبرد للنفس العطشانة... وآية الموضوع تنقسم وتوضح ذاتها إلي أربعة أجزاء:

١- مياه باردة **٢- نفس عطشانة**

٣- الخبر الطيب **٤- من أرض بعيدة**

ونتأمل بإختصار في كل منها... وحتي ندرك قيمة المياه الباردة، يلزم أولاً أن نري النفس العطشانة..

أولا - النفس العطشانة:

كما يعطش الجسد إلي الماء المادي، هكذا أيضا تعطش النفس، ولكن إلي ماء من نوع آخر، هو "الماء الحي"... تعطش إلي الله إلي الحب والفرح والسلام والنعمة والخلود والروح القدس.. إلي الكلمة الحية في المسيح. وهذا ما عبر عنه داود بقوله: "يالله إلهي أنت إليك أبكر، **عطشت إليك نفسي**" (مز ٦٣:١). وأيضا في قوله: "**كما يشتاق الأيل إلي جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يالله... عطشت**

نفسي إلي الله، إلي الإله الحيّ (مز ٤٢:٢).

وينادي الله البشر علي فم أشعياء النبي قائلا: "**أيها العطاش جميعا هلموا إلي المياه**، والذي ليس له فضة" (أش ٥٥:١) "**فتستقون مياه بفرح من ينابيع الخلاص**" (أش ١٢:٣). ويقول في موضع آخر "شعبي عمل شرين: **تركوني أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آبارا، آبارا مشققة لا تضبط ماءا** (أرميا ٢:١٣).

في سفر الخروج، نقرأ مرتين، أن الشعب عطش في البرية، مرة في رفيديم حيث لا ماء، ومرة ثانية، في مارة، حيث كان الماء مرا" (خر١٧:١٥). وفي المرتين كان الحل والعلاج هو المسيح. في رفيديم ضربت الصخرة، فخرج منها ماء، فشرب الشعب وأرتوي "وكانت الصخرة رمز المسيح" (١كو ١٠:٤)، الذي ضرب جنبه بحربة، فخرج منه دم وماء.

وفي المرة الثانية، ألقي موسي الشجرة الخضراء في الماء المر، فذهبت مرارته وتحول إلي ماء عذب، وكانت هذه الشجرة الخضراء رمزا لشجرة الصليب الذي حول مرارة الموت والدينونة إلي حلاوة الخلاص والحياة الأبدية" (خر١٥:٢٥).

شعرت أحدي الزوجات بأن قلب زوجها قد تحول عنها إلي غيرها، فلما عاد إلي البيت وجدها تبكي فسألها: "لماذا تبكين؟ ماذا ينقصك.. لقد أسكنتك في قصر، وحولك الخدم، ومعك سيارة وسائق، ودفتر شيكات، فلماذا تبكين؟ ماذا تريدين؟ وكان رد الزوجة حاسما: "أنا لا أريد هذه الأشياء كلها، بقدر ما أريدك أنت؟...

أليس هذا ما قاله آساف للرب "من لي في السماء ومعك لا أريد شيئا في الأرض" (مز ٧٣:٢٥). **وقد أحسن القديس أغسطينوس في وصف عطش النفس إلي الله بقوله "يالله أنت خلقتنا لذاتك ونفوسنا لن تجد راحتها إلا فيكَ... وقال أيضا "لقد تأخرت كثيرا في حبك ياأيها الجمال الفائق الوصفَ..**

ثانيا – مياه باردة:

لقد صوَّر الرب يسوع، أفضل شئ يقدم لعطشان بأنه الماء البارد، فقال: "**من سقي أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد** فقط بأسم تلميذ، فالحق أقول لكم إنه لن يضيع أجره" (مت ١٠:٤٢).

أن مياه النعمة المحيية صافية جارية ومنعشة. فلقد حدثنا سفر التكوين عن أنهار الجنة الأربعة، كما حدثنا سفر الرؤيا عن نهر الحياة في أورشليم الجديدة في السماء، إذ يقول الرسول يوحنا "وأراني نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كبلور خارجا من عرش الله والحمل" (رؤ ٢٢:١). "ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجانا" (رؤ ٢٢:١٧). وعندما أراد الوحي الإلهي أن يصور بشاعة جهنم وعذابها وأهوالها، قال أنه لا توجد فيها قطرة ماء واحدة، لتبرد لسان الهالك المعذب في اللهيب" (لو ١٦:٢٥).

إن مياه النعمة تحيي الخاطئ الميت في خطاياه، وترويه وتغسله وتطهره وتذيب قلبه القاسي المتحجر، وتطفئ نيران الغضب والعنف والكراهية والأنتقام والشهوات من قلبه وتملأ حياته الجديدة بالثمار الشهية الناضجة. ومياه النعمة هذه هي مياه الروح القدس التي قال عنها "أنها أنهار ماء حي" (يو ٧:٣٨).

كما أنها مياه كلمة الله التي لها نفس هذه المفاعيل، ولذلك شبهت كلمة الله بالماء كما في الآيات "لكي يطهر المسيح الكنيسة **بغسل الماء بالكلمة** " (أف ٥:٢٦)، وكقوله "**كما ينزل المطر** والثلج من السماء ولا يرجعان إلي هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعا للزارع وخبزا للأكل، **هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إلي فارغة** (أش ٥٥:١٠) وهي الخبر الطيب.

ثالثا – الخبر الطيب:

إن كلمة إنجيل تعني 'الخبر الطيب' أو الخبر السار أو البشارة المفرحة. ولذلك تسمي الأناجيل بالبشائر Evangelion. ولقد بدأ إنجيل لوقا ببشارة الملاك جبرائيل للرعاة "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم مخلص هو المسيح الرب". وظهر جمهور من الملائكة والجند السماوي منشدين بأجمل ألحان السماء "المجد لله في الأعالي وعلي الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو ٢:١٤).

إن الإنجيل هو أكثر كتاب في العالم ترجم إلي أكثر من ألف وخمسمائه لغة ولهجة وأكثر كتاب تم توزيع الملايين والبلايين منه في العالم عبر الأجيال، لأنه كتاب الكتب الذي يحوي أجمل الأخبار الطيبة ويروي قصة محبة الله للبشر وخلاصه وفدائه وتضحياته من أجلهم بسفك دم ابنه الوحيد ثمنا لخطايا البشر وغفرانا لهم مجانا، ومنحهم الحياة الأبدية السعيدة المجيدة هبة مجانية.

الإنجيل هو كتاب الله الوحيد الصادق الأمين الخالد الذي قال عنه السيد المسيح 'السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول' (مت ٢٤:٣٥). إن كلامه "روح وحياة" (يو٦:٦٣) يعطي – للأموات بالذنوب والخطايا – حياة، وللتائبين غفرانا وفرحا وسلاما، وللحزاني عزاء ورجاء، وللجهال علما وحكمة واستنارة... أنه كتاب الأخبار الطيبة المفرحة بخلاص الإنسان من الخطية والشر والموت والجحيم.. أخبار مراحم الله ومحبته وتجسده وخلاصه الأبدي العظيم لكل من يقبل دعوته المجانية للسماء... وقد وصلتنا هذه الأخبار الطيبة عن طريق كلمة الله المكتوبة ثم عن طريق أعظم وأقوي إعلان إلهي في شخص المسيح كلمة الله المتجسد الذي أتانا من أرض بعيدة.

رابعا – من أرض بعيدة:

إن أخبار الإنجيل الطيبة المفرحة لم تأتنا من أرض بعيدة في هذا العالم، ولكن من أرض أبعد وفوق جميع الكواكب والنجوم، أنها

أرض سماوية وأرض ذهبية... أرض الأحلام إذا جاز التعبير، بل أنها تفوق الأحلام وتصورات الإنسان. وصفها القديس بطرس الرسول بقوله: **ولكننا بحسب وعده (المسيح) ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البرّ** (٢بط ٣:١٣).

وحاول القديس بولس الرسول أن يصفها مرتين فلم تسعفه اللغة البشرية، فقال مرة: **ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر علي بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونهُ** (١كو ٢:٩). وفي المرة الثانية اختطف للفردوس فعلا، إلي السماء الثالثة وقال أنه "سمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" (٢كو ١٢:٢-٤).

وقال عنها الرب يسوع في بيت أبي منازل كثيرة وقال أن الأبرار يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم... وأنهم يكونون كملائكة الله في السماءِ (يو ١٤، مت ٢٢، ٢٥).

أما الرسول يوحنا فقال: **ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة.. والمدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتا يقول هوذا مسكن الله مع الناس... وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم. ولا يكون موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعدُ** (رؤ٢١).

إنها الأرض التي لا تمشي في شوارعها جنازة والتي يسكنها الملائكة والقديسون بملابسهم البيضاء النورانية وأجسادهم المجدة التي لا تعرف الخطية ولا المرض ولا التعب ولا الحر إلي الأبد (رؤ٧:٩).

حاول أحدهم أن يصفها حسبما أسعفه البيان فقال "هناك رؤوس لا تعرف الدوار، وقلوب بلا إنكسار، كل بيت هناك قصر، وكل خطوة نصرة، وكل غطاء للرأس أكليل، وكل دقة في البرج جرس عرس وكل ساعة هناء وكل دقيقة صفاء... ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولا يخطر علي بال إنسان..." وقال الرب يسوع "أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا" (رؤ ٢١:٦).